

تفسير البحر المحيط

@ 468 @ ليس عائداً على السماء ، لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى ، بخلاف الحال أو المفعول الثاني ، فإنه عائد على السماء على المعنى . { وَآوَّحَيْنَا إِلَىٰ سُلَيْمَانَ أَن يُلْقِ الْأَنْعَامَ عَلَيْهَا جُمُوعًا } قال مجاهد وقتادة : وأوحى إلى سكانها وعمرتها من الملائكة وإليها هي في نفسها ما شاء تعالى من الأمور التي هي قوامها وصلاحها ، وقاله السدي وقتادة : ومن الأمور التي هي بغيرها مثل ما فيها من جبال البرد ونحوها ، وأضاف الأمر إليها من حيث هو فيها . وقال الزمخشري : أمرها ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك . { وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ دَرَكًا } أي وحفظناها حفظاً من المسترقة بالثواقب ، ويجوز أن يكون مفعولاً له على المعنى ، كأنه قال : وخلقنا المصاييح زينة وحفظاً انتهى . ولا حاجة إلى هذا التقدير الثاني ، وتكلفه مع ظهور الأول وسهولته ذلك إشارة إلى جميع ما ذكر ، أي أوجده بقدرته وعزه وعلمه . .

{ فَإِنَّ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ * إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ * أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ * قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَالِيَتَنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنْدًا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنْزَلَ اللَّهُ السَّيْذَى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ . . }

{ فَلَإِنَّ أَعْرَضُوا } : التفات خرج من ضمير الخطاب في قوله : { أَتَدْرِكُونَ } إلى ضمير الغيبة إعراضاً عن خطابهم ، إذ كانوا قد ذكروا بما يقتضي إقبالهم وإيمانهم من الحجج الدالة على الوحدانية والقدرة الباهرة ، { فَاقُولُوا } : أي أعلمتكم ، { صَاعِقَةٌ } أي حلول صاعقة . قال قتادة : عذاباً مثل عذاب عاد وثمود . وقال الزمخشري : عذاباً شديداً الوقع ، كأنه صاعقة . وقرأ الجمهور : { صَاعِقَةٌ } مثلاً صَاعِقَةٌ ، وابن الزبير ، والسلمي ، والنخعي ، وابن محيصن : بغير ألف فيهما وسكون العين ، وتقدم تفسيرها في أوائل البقرة . والصعقة : المرة ، يقال : صعقته الصاعقة فصعق ، وهو من باب فعلت بفتح العين ، ففعل بكسرهما نحو : خدعته فخدع ،

وإذ معمولة لصاعقة لأن معناها العذاب . .

{ مِّن بَّيِّنٍ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ } ، قال ابن عباس : أي قبلهم وبعدهم ، أي قبل هود وصالح وبعدهما . وقيل : من أرسل إلى آبائهم ومن أرسل إليهم ؛ فيكون { مِّن بَّيِّنٍ أَيْدِيهِمْ } معناه : من قبلهم ، { وَمِنْ خَلْفِهِمْ } معناه : الرسل الذين حضرتهم . فالضمير في من خلقهم عائد على الرسل ، قاله الضحاك ، وتبعه الفراء ، وسيأتي عن الطبري نحو من هذا القول . وقال ابن عطية : { مِّن بَّيِّنٍ أَيْدِيهِمْ } : أي تقدموا في الزمن واتصلت نذارتهم إلى عمار عاد وشمود ، وبهذا الاتصال قامت الحجة . { وَمِنْ خَلْفِهِمْ } : أي جاءهم رسول بعد تقدم وجودهم في الزمن ، وجاء من مجموع العبارة إقامة الحجة عليهم في أن الرسالة والندارة عمتهم خبر ومباشرة . انتهى ، وهو شرح كلام ابن عباس . وقال الزمخشري : { مِّن بَّيِّنٍ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ } : أي آتوهم من كل جانب ، واجتهدوا بهم وأعملوا فيهم كل حيلة ، فلم يروا منهم إلا العتو والإعراض . كما حكى □ عن الشيطان : { لَا تَدْعُهُمْ مِّن بَّيِّنٍ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ } : أي لا تينهم من كل جهة ، ولأعملن فيهم كل حيلة . وعن الحسن : أنذروهم من وقائع □ فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة ، لأنهم إذا حذروهم ذلك فقد جاؤوهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ، ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم . انتهى . وقال الطبري : الضمير في قوله : { وَمِنْ خَلْفِهِمْ } عائد على الرسل ، وفي : { وَجَعَلْنَا مِنْ بَّيِّنٍ أَيْدِيهِمْ } عائد على الأمم ، وفيه خروج عن الظاهر في تفريق الضمائر وتعمية المعنى ، إذ يصير التقدير : جاءتهم الرسل من بين أيديهم وجاءتهم من خلف الرسل ، أي من خلف أنفسهم ، وهذا معنى لا يتعقل إلا إن كان الضمير يعود في